عنوان المحاضرة :أحداث :08 ماي 1945 م.

تعتبر مجازر 08 ماي 1945 منعرجا حاسما و خطيرا في مسيرة الحركة الوطنية الجزائرية فقد كانت بحق تعبيرا صادقا عن عمق الإحساس الوطني و ما يحمله من آمال و تطلعات لبعث جزائر حرة ذات سيادة، وبداية حتمية لتحويل مسار الكفاح السياسي من مطالب سياسية و تنظيمات حزبية إلى البحث عن خطة ثورية و انتهاج أسلوب مقاومة مسلحة .

وكانت مفاجئة في ظهورها محدودة في مجالها الجغرافي و بعدها الزمني لكنها خطيرة في نتائجها بعيدة الأثر في التطورات التي ترتبت عنها ،فهي و إن انتهت في أيام لكن عواقبها بقيت راسخة، و يعتقد بعض المؤرخين بأن 08 ماي 1945 هي حركة ثورية تم إجهاضها ،كما أنها كانت حدا فاصلا بين النزعة الإصلاحية التي لم تستطع التأثير على المستعمر و انتصار فكرة العنف الثوري.

ظروفها :

ورغم أن الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية المزرية كان لها دور في دعم مشاعر الكره تجاه الإستعمار و حتى المعمرين وكانت من العوامل التي غذت أحداث 08 ماي 1945 م ، إلاّ أنه يجدر بنا تناول الموضوع من ز اوية سياسية أكثر لأن التطورات السياسية الحاصلة في الجزائر هي التي دفعت بالأمر للتطور و الوصول إلى 08 ماي 1945 .

وقد سبق أن ذكر فرحات عباس أن والي قسنطينة ليستراد كاربونال أخبر الدكتور سعدان في أفريل أن اضطرابات ستحدث وشيكا وسيترتب عليها حل حزب عتيد ،ولا شك أنّه يقصد حركة أحباب البيان و الحرية التي أصبحت جبهة جزائرية لكل الأحزاب السياسية و تؤكد الأحداث اللاّحقة كلام كاربونال ومنه قيام الجماهير في قصر الشلالة تحديد 18 أفريل بمنع السلطات الفرنسية من اعتقال أربعة مناضلين من حزب الشعب الجزائري على إثر كلامهم عن الاستقلال في ندوة تخص تربية الأغنام على حد ما صرح به سعد دحلب الذي كان أحد هؤلاء الأربعة.وتصدت الجماهير الغفيرة للشرطة الفرنسية التي اعتقلت الأربعة ووجهت شتائم لعامل ولاية الجزائر ،هاتفة بحياة مصالي الحاج ويذكر الزبيري قبله في 14 أفريل 1945 وجه ستة مندوبين بيان إلى عامل ولاية قسنطينة دعوه فيه إلى اتخاذ إجراءات صارمة تمنع ماقد يقع من أحداث نتيجة مالاحظوه من سلوكات حاقدة على فرنسا وحتى المعمرين ،كما لاحظوا تغيّر ذهنية الأهالي بل وصار الموظفون و التجار متجبرين و يعلنون عزمهم على البقاء وحدهم في أرض أجدادهم

أما العمال فإنهم أصبحوا يرفضون الاشتغال في الحظائر الخاصة و ملكيات الفرنسية و يمكن القول بأن السلطات الفرنسية كانت على علم بأنّ أمرا ما قد يحصل و أن عملية يجري تنظيمها بمناسبة إنهاء الحرب وسوف تكون عامة

إنّ التحركات التي حدثت من طرف المعمرين، و الهادفة لضرب حركة أحباب البيان و مختلف تصريحاتهم ،دفعت بفرحات عباس ومصالي الحاج و محمد البشير الإبراهيمي إلى عقد لقاء باسم حركة أحباب البيان في نهاية شهر أفريل للقيام بمظاهرة عامة يوم احتفال

الحلفاء بالنصر على أن تكون سلمية و ألا ترفع فيها شعارات الحماسة المناهضة لفرنسا علنا ، و تؤكد معظم الدراسات بأن حركة أحباب البيان و الحرية كانت وراء الدعوة لهذه المظاهرات وهذا من خلال الطلبات التي تقدمت بها للسلطات الاستعمارية في العديد من مدن الجزائر للحصول على رخصة للقيام بالمظاهرات السلمية قوبلت كلها بالموافقة ،وكان هدف حركة أحباب البيان من هذه المظاهرات تكذيب دعاية روبرت مورفي الذي صرّح بأن أمريكا ستعمل في الوقت المناسب على جعل فرنسا تنهي حالة الاستعمار في الجزائر ،بينما صرّح لممثلي حزب الشعب الجزائري بأنّ حركتهم لا تمثل أغلبية الشعب الجزائري، وهذا الأخير لن يعطيهم ثقته في حالة استشارته و أمام هذه اللغة المزدوجة أصبح على قادة الحركة الوطنية القيام بنشاط علني يثبتون من خلاله سوء تقدير الحلفاء و يبرهنون على أنهم الناطقون الشرعيون للشعب الجزائري.

فقد خالف الاستقلاليون أمر فرحات عباس وتوصياته بالسلمية و التحلي بالهدوء و أسرّ حزب الشعب لعناصره بالمدن و القرى رفع الشعارات المناهضة للاستعمار الفرنسي خاصة في قالمة _ سطيف ،وكانت هذه هي الفرصة السانحة بالنسبة للكولون لضرب هذه الحركة فكانت حوادث 08 ماي 45 19

أسبابها :

و تكمن صعوبة دراسة مجازر 08 ماي 1945 في تحديد أسبابها الحقيقية خاصة أمام تضارب الروايات و الشهادات و حتى الأطراف المتورطة فيها، ففي حين يروي فرحات عباس بأن أحداث 08 ماي 1945 كان مؤامرة حيكت خيوطها لضرب حركة أحباب البيان و الحرية نظرا لإلتفاف الجماهير حولها مما جعل السلطات الفرنسية تحسب له ألف حساب و ترقب نشاطه وخاصة الكولون ،وكان أول مؤشر لهذه المؤامرة هو محاولة تفويت الفرصة على الحركة للمشاركة في الانتخابات البلدية التي كانت قد أجريت في فرنسا وما أجلت في فرنسا إلاّ خشية انتصار القوات الشعبية لحركة أحباب البيان

في حين تجمع معظم الدراسات على أن بداية المظاهرات كانت احتفالية يوم01 ماي 1945 بعيد العمال، ويذكر عناد ثابت بأن حزب الشعب إستغل فرصة عيد العمال وقرر تنظيم تظاهرة سلمية فقط حسب الظروف أرادها إذا وطنية يؤثر في الجماهير و ليبرهن على الدعم الشعبي ومدى تحكمه في الطبقة الشعبية ،وقد ضمّت التظاهرات كل مدن الجزائر رافعين شعارات وطنية :(حرّروا مصالي، الجزائر مستقلة، ليسقط الاستعمار، نعم لميثاق الأطلسي الإعتراف بالجنسية الجزائرية) ،و كانت مظاهرات الجزائرين مستقلة و أكثر تميزا عن تلك التي قام بها الفرنسيون

سير الأحداث :

و حسب العديد من الشهادات فإن المظاهرات بدأت في مدينة سطيف، حيث صادف يوم الثلاثاء وهو يوم السوق الأسبوعي أين اجتمع آلاف المواطنين في المحطة قرب الجامع

الكبير باتجاه قبر الجندي المجهول حيث وضعت باقة ورود ،و كان الجميع مجردين من الأسلحة لتكون مظاهة خالية من جميع محاولات العنف وانتظمت المظاهرة و أخذت تسير على رأسها الكشافة الإسلامية حاملة العلم الجزائري و أعلام الحلفاء إلى أن وصلت إلى مقهى فرنسا وردد المتظاهرون نشيد" حيوا الشمال" وهي من الأناشيد الوطنية لحزب الشعب الجزائري ،وقد حاول محافظ الشرطة أوليفري(Olivierri) أن ينتزع الراية الوطنية من حاملها وهو الشاب بوزيد سعّال فرفض بشدة فأطلق عليه النار فأرداه قتيلا و جرح عدد آخر من المتظاهرين و كان ذلك بداية اشتعال نيران المجزرة المأساوية ،غير أن جون لوي بلانش يذكر أن جماعة من أحباب البيان في سطيف كانت تحمل رايات كتبت باللغة العربية والفرنسية و الإنجليزية أعدت ليلا كتب عليها : " نريد أن نكون مساوين لكم ،ليسقط الاستعمار" ، وهي عبارات ليست مثيرة ،وكان عدد المتظاهرين 4000 شخصا ، وكانت القوات الفرنسية مستعدة منذ الخامسة صباحا و بدأ إطلاق النار من مقهى فرنسا من طرف الأوربيين و حتى من الشرفات و حاول بعض عناصر حزب الشعب الرد بمسدسات صغيرة لكنهم لم يصيبوا أحدا و لم يسد الهدوء إلا في حدود العاشرة والنصف ،وكان عدد القتلى في المدينة من 20_40 قتيلا لتتوزع المظاهرات خارج المدينة خاصة و أنها كانت في يوم سوق يقصدها الناس من كل الولايات فتناقلوا ما حدث فيها لينتشر الخبر إلى المدن المجاورة

وقد استعمل سلاح الطيران الجوي ضد القرى المجاورة و أفران الجير لحرق السكان الأهالي كما حدث في قالمة وفي شهادة لأحد من عايشوا هذه المجازر من قالمة:" لقد كان القمع رهيبا ووحشيا وكان من عمل الجيش و البحرية و الطيران و رجال الدرك و المليشيات الأوربية و الحقيقة أن كل عربي لا يحمل علامة مثلثة الألوان مسلّمة من طرف السلطات الاستعمارية كان يردى قتيلا" و استمرت عدة أيام إمتدت إلى غاية 21 ماي 1945 وقد استعملت فيها أفران الجير الحارقة بصفة جماعية :

_نسف القرى والمداشر بأكملها.

_ تم تنفيذ أكثر من 4500 غارة جوية في ظرف أسبوعين

أما عن حصيلة هذه المجازر فلا يوجد رقم محدد و ذلك نظرا لإختلاف المصادر ويبقى الرقم المرجح 45,000 قتيل بالنسبة إلى الشعب الجزائري فيما تحدثت المصادر الفرنسية عن 6000 قتيل و 15,000 قتيل فيما ذكرت المصادر الأمريكية رقم 40,000 فيما قدر عدد الأوربيين بـ88 شخص

كما القي القبض على مجموعة كبيرة من النواب المسلمين الناشطين في احباب البيان وهم المساعدين الرئيسيين لفرحات عباس أحمد فرنسيس ،أحمد بومنجل ،الأستاذ قدور ساطور و الأستاذ مصفى الحاج نقيب المحامن في سطيف و الدكتور بن خليل وعزيز أكسوس مدير أسبوعية جريدة المساواة

كما قامت بحل حركة أحباب البيان و اتهمتها بتحريض الشعب وعليه فقد قدّموا للعدالة بتهم مختلفة كالقتل ،العصيان ، و المساس بالأمن العام ،وقدموا للمحاكمة في محاكم عسكرية

استثنائية ،أما فرحات عباس فقد أوكلت قضيته إلى البروفيسور بيرجي فاشون، وقدم عباس بتهمة التآمر مع الجماعات التي قام بتحريضهاوقد حاول بن جلول ا لتدخل لصالح النواب ببعث برقيات إلى رئيس الحكومة المؤقتة و إلى وزير العدل ووزير الحرب ووزارة الداخلية في 4 جوان 1945

اعتبر النواب المسلمون الناشطون في حركة أحباب البيان و الحرية بأن أحداث 08 ماي 1945 بمثابة درس لهم كشف القناع عن حقيقة الإدارة الاستعمارية التي تسير وفق هؤلاء المعمرين مشردي أوروبا ،الذين أردوا الانفصال بالجزائر وكانوا يدمّرون كل خطوة إيجابية يقوم بها أحزاب الحركة الوطنية و بخاصة النواب المسلمين الذين أصبحوا يثورون ضد الإدارة الاستعمارية و يتّبعون الثورة بالقانون.

بعض المراجع:

محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصرة ،ج 1 ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 1999 .

محمد لحسن زغيدي :" مجازر 08 ماي 1945 "، مجلة الذاكرة ،السنة 2 ، العدد 2 ، ربيع 1995، تصدر عن المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر .

علي تايليت: "من جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر ،مذابح 08 ماي 1945 "،**الذاكرة** ،السنة 2 ،العدد 2 ، 1995.

لهلالي إسعد:مقالات وآراء في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار المجدد 2018 .

لهلالي إسعد:محاضرات في تاريخ الجزائر من الاحتلال إلى الاستقلال (1830-1962)، دار المجدد 2018.

لهلالي إسعد: دور القوات الفرنسية في مجازر 8 ماي 1945 " دراسة تحليلية من خلال الوثائق العسكرية الفرنسية والشهادات والكتابات الجزائرية.دار المجدد 2018.

مومن العمري :" مجازر 08 ماي 1945 و علاقتها بثورة أول نوفمبر 1954"، محاضرات ملتقى مجازر 08ماي 1945 في الذاكرة الوطنية يومي 06 _07 ماي 2005 ، سطيف .